تفريغ شرح القواعد الأربعة

للشّيخ محمّد بن عبد الوهاب –رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-

ضمن دروس سلسلة التأصيل العلمي

لفضيلة الشيخ

حـامد بن خميس بن ربيع الجنيـبي

(تفريغ الدرس الثاني)

(تنبيه: هذا التفريغ لم تتم مراجعته واعتماده من قِبَل الشيخ)

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فهذا هو المجلس الثاني من مجالس التعليق على رسالة القواعد الأربع للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - عليه رحمة الله تعالى وأسكنه فسيح جناته–، و كنا بحول الله – عز وجل– وتوفيقه قد انتهينا من المقدمة الأولى والمقدمة الثانية بناء على تقسمنا لهذه الرسالة، حيث كنا قد قسمنا الرسالة إلى ستة أقسام.

القسم الأول هو الذي كان فيه الدعاء، والقسم الثاني هو الذي تكلم فيه الإمام - رحمه الله تعالى– عن الحنيفية، وعن التوحيد، وعظم التوحيد، وخطر الشرك، ثم بعد ذلك تأتي القواعد الأربع، فكل قاعدة هي عبارة عن قسم من أقسام هذه الرسالة. وكما ذكرنا، بهذا التصور إن شاء الله يسهل على طالب العلم أن يتصور هذه الرسالة، وأن يُعان إن شاء الله على حفظها وفهمها بحول الله –عز وجل–.

طيب، يقول المصنف –عليه رحمة الله تعالى– في رسالته، رسالة القواعد الأربع، قال:

[المتن]

الْقَاعِدَةُ الأُولَى:

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ – تَعَالَى– هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُمْ فِي الإِسْلامِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾[1].

[الشرح]

هذه هي القاعدة الأولى من هذه الرسالة، وذكرنا سابقا أن ضبط هذه القواعد الأربع معين إن شاء الله على إحكام مداخل أهل الأهواء والبدع في باب توحيد الله –تبارك وتعالى–، حيث إن هذه القواعد الأربع من فهمها فهما جيدا سهل عليه إن شاء الله أن يخوض في غمار فهم تفاصيل هذه الرسائل، التي قد يعني يتعلق بها أرباب القبور والذين يتعلقون بالقبور.

فذكر في هذه القاعدة مسألة مهمة وهي: أن أكثر الذين قاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم كلهم مقرون بأن الله –تعالى– هو الخالق المدبر، وأن ذلك لم يدخلهم في الإسلام، ونحن قد سبق لنا أن تكلمنا على أن التوحيد عند أهل السنة ينقسم إلى ثلاثة أقسام، لا مانع من إعادة ذكرها لكي نتصور المسائل مرة أخر:

١. القسم الأول من أقسام التوحيد هو: توحيد الألوهية، وهو إفراد الله –تعالى– بالعبادة.
٢. والقسم الثاني من أقسام التوحيد هو: توحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات ما أثبته الله تعالى لنفسه، أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تكييف، ولا تمثيل، ولا تعطيل. وإن شئت فقل إفراد الله تعالى بما يستحقه من الأسماء والصفات.
٣. والقسم الثالث من أقسام التوحيد هو: توحيد الربوبية وهو إفراد الله تعالى بأفعاله، فتفرد الله –عز وجل– بهذه الأفعال التي هي الخلق، والرزق، والملك، والتدبير، وبعضهم يعرف توحيد الربوبية إفراد الله تعالى بالخلق، والملك، والتدبير، وكلا التعريفين لا يتنافيان إن شاء الله، وإن كان التعريف الأول أخصر وأشمل إن شاء الله، وهو قولنا إفراد الله تعالى بأفعاله.

[1] [يونس: ٣١]

وهذه القاعدة، أعني القاعدة الأولى، يدور الحديث فيها حول القسم الثالث من أقسام التوحيد، وهو توحيد الربوبية، والشيخ –رحمه الله تعالى– أراد إيضاح أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يشهدون ويقرون بأن الله –تبارك وتعالى– خالق، رازق، مدبر، مالك، إلى آخره. فهم يقرون بأن الله –تبارك وتعالى– له الخلق، والملك، والتدبير.

ثم استدل لذلك –رحمه الله تعالى– بقوله –عز وجل–: ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ** ﴾، وهذا أمرٌ مِن الله –تبارك وتعالى– للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يسأل الكفار، فيوجهَ إليهم هذا السؤال: ﴿ **مَن يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأَرضِ أمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مْنَ الحَيِّ وَمَن يُدبِّرُ الأَمْرَ**﴾، ثم أخبر –تبارك وتعالى– أنّ جوابهم سوف يكون: الله، فيعترفون ويُقرُّون بالجواب بأنّ الله –عز وجل– هو الذي يرزق مِن السماء والأرض، وهو الذي يملِك السمع والأبصار، وهو الذي يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ، وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مْنَ الحَيِّ، وَهُوَ الذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، –تبارك وتعالى– سُبحانه، ولِكي يتضح المعنى نقول: إنّ المُخالفين في توحيد الربوبية هُم أربعة أقسام أو أربعة أصناف مِن الناس:

١. الصنفُ الأول: هم الجاحدون لتوحيد الربوبية، وهؤلاء يكون إنكارُهم على سبيل الكِبر والاستعلاء، تكون مُخالفتُهم على سبيل الاستكبار والاستعلاء، وإلا هم في قرارة أنفسهم يُقرون بأنّ الله –تبارك وتعالى – هو الرب سبحانه؛ ومِن ذلك إنكار فِرعون حين قال: ﴿ **أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى** ﴾[2]، وكما قال –سبحانه وتعالى– عنه، وأخبر : ﴿

[2] [النازعات: ٢٤]

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[3]، وناظر موسى عليه الصلاة والسلام فرعونَ، أخبره بإقراره بتوحيد الربوبية، فقال: ﴿ **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾[4]، ﴿ **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ**﴾، يعني علمت يا فرعون، ﴿ **لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾، هذا هو الصنف الأول مِن أصناف المُخالفين في توحيد الربوبية.

٢. وأما الصنف الثاني مِن المُخالفين في توحيد الربوبية: هم المجوس، ومُخالفتهم ليست مِن قَبيل الإنكار، وإنما هي مِن قبيل التشريك في الربوبية، فقالوا إنّ للعالَم خَالِقَيْن: الخالق الأول عندهم هو إله النور، والخالق الثاني هو عندهم إله الظلمة، فإله النور عندهم هو الذي يخلق الخير، وإله الظلمة هو الذي يخلق الشر، تعالى الله –عز وجل–عن ذلك علوا كثيرا، فهم يُقرون بأنّ للكون إله وخالقا، لكن يجعلونهما خالقين.

٣. والصنف الثالث مِن المُخالفين في توحيد الربوبية: هم الملاحدة، وهؤلاء الملاحدة يُنكرون توحيد الربوبية إنكارا تاما، يعني لا في الظاهر ولا في الباطن، لا في قرارة أنفسهم هم يصدقون بتوحيد الربوبية، ويُنكرون وجود الله –عز وجل–، ويُنكرون أنّ للكون خالقا، وليس هنالك خالق للكون عندهم، وهؤلاء هم الملاحدة ومنهم في زماننا هذا الشيوعية.

٤. والصنف الرابع مِن المُخالفين في توحيد الربوبية: هم غُلاة القُبوريين، ومُخالفة غلاة القبوريين في هذا الباب هو مِن جهة أنهم يعتقدون في أوليائهم أنهم يتصرفون في السماوات، والأرض، والخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، وجعلوا لهم التدبير في هذا الكون، وكُتبهم تنضح بمثل هذه العقيدة الكُفرية، عياذا بالله –عز وجل–، وهذه العقيدة موجودة بكثرة عند القبوريين. ومنهم مَن ينحى منحى وحدة الوجود، فيقول:

---

[3] [النمل: ١٤]

[4] [الإسراء: ١٠٢]

العبدُ رب والرب عبد، فيجعل العبد ربا ويجعل الرب عبدا، فكل ما في الوجود هو الله، عندهم كل ما في الوجود هو الله، هؤلاء هم الأصناف الأربعة مِن أصناف الناس الذين خالفوا في توحيد الربوبية.

نعود إلى القاعدة الأولى، المؤلف –رحمه الله تعالى- أخبر أنّ الكفارَ الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُقرون بأنّ الله –تعالى- هو الخالق المُدبر، وأنّ ذلك لم يُدخلهم في الإسلام، وهنا يبين أنّ الدخول في الإسلام إنّما يكون بتوحيد الألوهية، ويتضمن ذلك الإيمان بالربوبية والأسماء والصفات، وإن شاء الله هذا تفصيله في موطن آخر بحول الله –عز وجل-، لكن المقصود هنا أن نفهم أنّ توحيد الربوبية وحده لا يُدخل في دين الإسلام، بل لابد أن يجتمع معه توحيد الألوهية وهو إفراد الله –عز وجل- بالعبادة.

ثمَّ ذكر المصنِّف -رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جنَّاته- القاعدة الثَّانية، طبعا هنالك ترابط بين القواعد الأربعة لأنَّها كلُّها تصبُّ في مصبٍّ واحد، وبعضها يتداخل الفهم فيها ولها علاقة مباشرة ببعضها البعض، هناك علاقة مباشرة بين هذه الأصناف أو هذه الأقسام أو القواعد الأربعة، بين القواعد الأربعة هنالك علاقة قويَّة أو مباشرة، فالقاعدة الأولى أنَّ المشركون مقرُّون بتوحيد الرُّبوبية، والقاعدة الثَّانية كما قال المصنِّف:

[المتن]

أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ

[الشرح]

فهم لَّما رأوا أنَّ الإشراك في الألوهيَّة لا يضرُّ، جرَّهم ذلك إلى أن يكون عندهم الأشياء التي يتقرَّبون بها إلى الله، سواء كانت: الأولياء، أو الملائكة، أو الأحجار، أو الأشجار، أو الأصنام، إلى آخره... فهنالك علاقة كما ذكرنا بين هذه القواعد الأربعة.

طيِّب، الآن القاعدة الثَّانية يقول فيها –رحمه الله تعالى-: (**أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إِلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ**)، وطبعا دخل عليهم هذا الدَّاخل – وهو أنَّهم يقولون بأنَّ توجُّههم ودعاءهم للأولياء، وللأصنام، وللملائكة، ونحو ذلك، إنَّما كان لأجل أن يقرِّبوهم إلى الله –عزَّ وجلَّ- وأن يشفعوا لهم عند الله –عزَّ وجلَّ- – فصرفوا لهم أنواع العبادة لأجل هذا الدَّاخل، ودخل عليهم هذا الدَّاخل كما قلنا من أين؟ دخل عليهم هذا الداخل بأنَّهم يتوجَّهون ويدعون غير الله –عزَّ وجلَّ-، ويتقرَّبون إليهم، ويستشفعون بهم، لأنَّهم قالوا: هؤلاء لهم جاه ومكانة عند الله –عزَّ وجلَّ- ،كالملائكة، والأولياء الصَّالحين، بل حتَّى الأصنام، فهم يعظِّمون الأصنام ويعتقدون أنَّها واسطة بينهم وبين ربَّ العالمين –سبحانه وتعالى-. ولذلك كان من عظيم ما يذكرونه في شُبَههم في هذا الباب وكما سيأتي معنا إن شاء الله، أنَّهم يقولون: ما دعوناهم وما توجَّهنا إليهم إلَّا لطلب القربى والشَّفاعة، وهم لهم جاه عند الله –عزَّ وجلَّ-، يعني لهم مكانة عند الله –عزَّ وجلَّ-، فدخل عليهم هذا الدَّاخل من هذا الباب.

وهنا المصنِّف –رحمه الله تعالى- ذكر مسألتين:

١-ذكر طلب القربى.

٢-وذكر طلب الشفاعة.

فعندنا القاعدة الثَّانية تحتوي على أنَّهم يطلبون ممَّن يجعلوهم وسائط بينهم وبين الله –عزَّ وجلَّ–، ومن يدعوهم من دون الله –عزَّ وجلَّ–، أنَّهم إمَّا أن يطلبوا منهم القربى من الله –عزَّ وجلَّ–، وإمَّا أن يطلبوا منهم الشَّفاعة عند الله –عزَّ وجلَّ–، أن يشفعوا لهم عند الله –عزَّ وجلَّ–، فعندنا طلب القربى وعندنا طلب الشفاعة.

الآن ذكر المصنِّف –رحمه الله تعالى– الدَّليل على طلب القربى فقال:

[المتن]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[5]

[الشرح]

الآن، وفي هذا الزَّمان، لو سأل إنسان أيَّ قبوريٍّ وكلُّ من يدعو من دون الله –عزَّ وجلَّ– الأولياء والصَّالحين نجد أنَّ الإجابة هي هي، فلِمَ تصرف هذه العبادة لغير الله –عزَّ وجلَّ–؟ يقول لك: إنَّ صرفي لهذا الأمر لغير الله إنَّما لأنَّ هؤلاء أولياء، وهؤلاء صالحون، ونحن أصحاب ذنوب، وهؤلاء يُقرِّبونا إلى الله، ويشفعوا لنا عند الله. فالدَّعوة هي هي، والكلمة هي هي، وإنَّما وُرثت هذه المقالة عن هؤلاء الأسلاف الَّذين قالوا كما أخبر الله –عزَّ وجلَّ–: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى** ﴾[6]، وسبق لنا أن ذكرنا: أنَّ النَّفي إذا دخل عليه الاستثناء أفاد الحصر والقصر، وهم يقولون: (**مَا نَعْبُدُهُمْ**)، ما

[5] [الزمر: ٣]

[6] [الزمر: ٣]

هنا نافية تنفي، (**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**) فلمَ تعبدونهم؟ ليس هنالك سبب للعبادة إلَّا أنَّهم سوف يقرِّبونا إلى الله زُلفى، هكذا زعموا وهكذا قالوا، فهذا هو الدَّليل على أنَّ هؤلاء المشركين كانوا يدعونهم لأجل طلب القربى.

وذكر بعد ذلك المصنِّف –رحمه الله تعالى– الآن القسم الآخر وهو دليل الشَّفاعة فقال:

[المتن]

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ ﴾ [٧]

[الشرح]

طيِّب، الشَّفاعة، ما هي الشَّفاعة؟

الشَّفاعة هي في اللُّغة: خلاف الوِتر، وعكس الوِتر، وهو الزَّوج من الشَّيء، الشَّيء إذا كان اثنين فهو زوج، فهو خلاف الوِتر وهو الزَّوج، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ**﴾[٨].

وهي يُراد بها هنا أنَّ هؤلاء الشُّفعاء الَّذين يشفعون لهذا العبد الَّذي يتقرَّب إليهم، يشفعون لهم عند الله –عزَّ وجلَّ– لمكانتهم وجاههم كما ذكرنا سابقا، وسمِّيت الشَّفاعة شفاعة لأنَّ فيها ضمُّ سؤال الشَّافع إلى سؤال المشفوع فيه.

---

[7] [يونس: ١٨]

[8] [الفجر: ٣]

نركز إن شاء الله، سميت الشفاعة شفاعة لماذا؟ لأن قلنا نحن الشفاعة هي خلاف الوتر فعند شيء واحد وشيء واحد تضمهما إلى بعضهما يصير ماذا؟ يصيران شفعا، طيب سميت الشفاعة شفاعة لِمَ؟ لأن الشفاعة هنا ضم سؤال الشافع، يعني أولا المشفوع فيه كان يسأل فرأى أن سؤاله وحده لا يكفي، فطلب من الشافع أن يضم سؤاله إلى سؤاله، فيكون هنالك سؤالان، يعني فيتكرر فيكون السؤال مكررا، أو يكون السؤال مضاعفا أو نحو ذلك، فسميت الشفاعة شفاعة لِمَ؟ لأن فيه ضم سؤال الشافع إلى سؤال المشفوع فيه.

يقول الله –سبحانه وتعالى-: ﴿ **وَمَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا**﴾[9] هنا قال –سبحانه-: ﴿ **وَمَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً** ﴾ سواء كان ذلك بضم السؤال إلى السؤال، يعني لا يلزم أن يكون المشفوع فيه تكلم بالسؤال لكن هو في داخله عنده سؤال عنده طلب، فيأتي الشافع فيضم طلبه إلى طلب المشفوع فيه، فيصبحان كأنهما طلبان فبالتالي يقوى ذلك الطلب.

ذكر في ذلك الدليل: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ** ﴾[10].

الله –سبحانه وتعالى– سمَّا هذه الشفاعة ماذا؟ سماها عبادة، قال: ﴿ **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ** ﴾.

طيب، لكي نؤصل المسألة أكثر وتتضح لنا المسألة أكثر بحول الله –عز وجل– نقول: الشفاعة ملك لله –تبارك وتعالى– كما قال سبحانه: ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** ﴾[11].

---

9 [النساء: ٨٥]

10 [يونس: ١٨]

طيب، لما كانت هذه الشفاعة ملكا لله –عز وجل–، فلا يجوز للعبد أن يتصرف في ملك الله –عز وجل– بغير إذنه، فتصرفه في ملك الله –عز وجل– يجعله مخالفا في هذا الباب، وهذا سيأتي تفصيله إن شاء الله بعد قليل في تقسيم الشفاعتين وشروط الشفاعة.

طيب، يقول المصنف –رحمه الله– أو يبين لنا الآن أقسام الشفاعة، يقول:

[المتن]

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

[الشرح]

المنفية هي التي نفاها ماذا؟ نفاها القرآن، وجاء نفيها في الكتاب والسنة، والشفاعة المثبتة هي التي جاء إثباتها في القرآن والسنة، لكن ما هو تعريف هاتين الشفاعتين؟ ما هو تعريف الشفاعة المنفية وما هو تعريف الشفاعة المثبتة؟

يقول المصنف –رحمه الله تعالى– :

[المتن]

فَالشَّفَاعَةُ الْمَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ.

[الشرح]

هذا ضابط مهم لكي نسمي هذه الشفاعة شفاعة منفية، ونسمي هذه الشفاعة شفاعة مثبتة، (**مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيْرِ اللهِ فِيمَا لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا اللهُ**)، فكل سؤال للشفاعة فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو ماذا؟ فهو شرك بالله –عز وجل–، واستدل بذلك –رحمه الله تعالى– بقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ**﴾ هنا الشاهد ﴿**وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[١٢].

---

[11] [الزمر: ٤٤]

[12] [البقرة:٢٥٤]

فأخبر –سبحانه وتعالى– هنا عن الشفاعة، فهذه الشفاعة التي تُطلب من غير الله –عز وجل– فيما لا يقدر عليه إلا الله تكون شركا كما ذكرنا.

الشفاعة الثانية هي الشفاعة المثبتة وهي: التي تطلب من الله –عز وجل–، فيكون الطلب من العبد لله –عز وجل– أن يشفِّع فيه عبده فلان، فمثلا: أن يقول العبد اللهم شفع فيَّ نبيك صلى الله عليه وسلم، فيشفع النبي صلى الله عليه وسلم لهذا العبد متى؟ يوم القيامة ليس في الحياة الدنيا، يوم القيامة، لماذا نقول يوم القيامة؟ للشروط التي سوف تأتي معنا إن شاء الله، فالشفاعة المثبة هي التي تطلب من الله –عز وجل– فيكون الطلب من العبد لله –عز وجل– أو من الله –عز وجل– أن يشفع الله — عز وجل– فيه عبده فلان أو أن يشفع لفلان؛ إما أن يطلب من الله أن يشفِّع فيه فلان من الناس، أو أن يطلب من الله أن يشفع هو لأجل فلان من الناس، أو زيد من الناس، أو عمر من الناس.

طيب، يقول:

[المتن]

وَالشَّافِعُ مُكَرَّمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾[13].

[الشرح]

طيب، الآن نذكر هنا شروط الشفاعة، أقسام الشفاعة وأنواعها هذا يحتاج إلى تفصيل طويل ليس هذا موضعه. نذكر هنا الشروط شروط الشفاعة:

من أهل العلم من يجعل شروط الشفاعة شرطان، ومنهم من يجعلها ثلاثة شروط ولا تعارض بين الجميع، من قال من أهل العلم أن الشفاعة لها شرطان قال:

[13] [البقرة: ٢٥٥]

- الشرط الأول: أن تكون الشفاعة بعد إذن الله –عز وجل–، هذا هو الشرط الأول والدليل على ذلك ما قاله المصنف –رحمه الله تعالى– هنا فقال عليه –رحمة الله تعالى–: ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾، هنا ذكر المصنف –رحمه الله تعالى– أحد شروط الشفاعة، فشرط الشفاعة هو: الإذن من الله –عز وجل–، هو المالك –سبحانه وتعالى– لهذه الشفاعة، كما ذكرنا أن –سبحانه وتعالى– قال: ﴿ **قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا** ﴾[١٤] فهو –سبحانه– مالك للشفاعة، فإذا كان –سبحانه وتعالى– هو المالك لهذه الشفاعة، فلا يجوز أن تُطلب هذه الشفاعة من غيره–سبحانه وتعالى– لأنه هو المالك، فأنت الآن لو ملكت شيء من حطام الدنيا فلن تأذن لأحد بأن يتصرف في هذا الملك، لأن هذا هو ملكك بارك الله فيك، وهذه الصورة الآن لأجل التوضيح أكثر، فنقول بارك الله فيكم: أن الشفاعة شرطها الأول: أن يأذن الله –عز وجل– لهذه الشفاعة، ونضرب على ذلك مثال لكي تتضح المسألة أكثر: النبي صلى الله عليه وسلم في أرض المحشر يأتيه الناس ويقولون: يا رسول الله اشفع لنا، فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم فيخر ساجدا بين يدي ربه –تبارك وتعالى–، ويدعوه، ويثني عليه، فيقول الله –عز وجل– له عند ذلك: ارفع رأسك، واشفع تُشَفَّع، وسل تعطى. فلم يشفع النبي صلى الله عليه وسلم لأهل المحشر إلا متى؟ إلا بعد أن أذن الله –عز وجل– له بأن يشفع، فقال: واشفع تُشَفَّع، فبعد الإذن صار ذلك.

- الشرط الثاني من شروط الشفاعة وهو: أن يرضى الله –عز وجل– عن الشافع، هذا هو الشرط الثاني: ﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي**

[14] [الزمر: ٤٤]

شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾[15] فهذا هو الشرط الثاني قلنا رضا الله – عز وجل- عن الشافع يقول: ﴿ **وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ وأيضا إيش؟ ﴿ **وَيَرْضَى** ﴾ عن هؤلاء الذين سوف يشفعون.

- الشرط الثالث: رضا الله -عز وجل- عن المشفوع له، والدليل قوله -عز وجل-: ﴿ **وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى**﴾[16]، فعندنا الآن أصبحت ثلاثة شروط.

طبعا الذين يقولون أن الشفاعة لها شرطان يقولون: الشرط الأول الإذن، إذن للشافع، ويقولون: الشرط الثاني هو الرضا عن المشفوع له، فهذا قول عند أهل العلم، ويزيد بعض أهل العلم الشرط الثالث وهو: الرضا عن الشافع، وذكرنا الدليل عن هذه الثلاث. وأن لا يكون رضا الله -عز وجل- عن المشفوع له، ولا عن الشافع، إلا بأن يكون من أهل التوحيد؛ فلا بد أن يكون من أهل التوحيد سواء كان الشافع أو المشفوع له، وكلاهما لابد أن يكون من أهل التوحيد لكي تحصل هذه الشفاعة، هذه إذا القاعدة الثانية من هذه الأربعة إن شاء الله.

طيب، نعيد الكلام على عجل فيما مضى لكي إن شاء الله يعني نسترجع ما ذكرناه.

15 [النجم:٢٦]

16 [الأنبياء: ٢٨]

القاعدة الأولى قلنا تكلم فيها المصنف -رحمه الله تعالى- عن توحيد الربوبية، وذكر أن المشركين الذين أُرسل فيهم النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقرُّون بتوحيد الربوبية، ومع ذلك لم يدخلهم ذلك في دين الله -عز وجل-، ولا في الإسلام.

أيضا بارك الله فيكم، تكلمنا أيضا عن الشفاعة، قال المصنف -رحمه الله تعالى- والثاني قال أن المشركين يقولون: (**مَا دَعَوْنَاهُمْ وَتَوَجَّهْنَا إِلَيْهِمْ إلا لِطَلَبِ الْقُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ**)، فيطلبون أحد أمرين: إما أن يطلبوا القربى، وإما أن يطلبوا الشفاعة، فذكر دليل القربة، وذكر دليل الشفاعة.

ثم ذكر أن الشفاعة تنقسم إلى قسمين: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة:

والشفاعة المنفية هي التي تُطلب من غير الله -عز وجل-، فيما لا يقدر عليه إلا الله.

والشفاعة المثبتة هي التي تُطلب من الله -تبارك وتعالى-.

ثم ذكرنا أن للشفاعة ثلاثة شروط:

١. الشرط الأول هو: الإذن من الله -عز وجل-.
٢. الشرط الثاني: رضا الله عن الشافع.
٣. والشرط الثالث: رضاه عن المشفوع له.

هذا يعني ما عندنا في درس اليوم إن شاء الله .